من يطيق ما تطيق أم عمارة؟

لما كان يوم أُحد ، قاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية رضي الله عنها قتال الأبطال . وكانت أم سعد بنت الربيع تقول :

دخلتُ علىٰ أم عمارة فقلتُ لها : يا خالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجتُ أوّل النهار ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيتُ إلىٰ رسول الله ﷺ ، وهو في أصحابه ، والريح والدولة للمسلمين .

فلما انهزم المسلمون ، انحزتُ إلىٰ رسول الله ﷺ ، فقمتُ أباشر القتال ، وأذبّ عنه بالسّيف ، وأرمي عن القوس ، حتىٰ خلصت الجراح إليّ .

قالت أم سعد : فرأيتُ علىٰ عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلتُ : من أصابكِ بهذا؟ قالت : ابن قميئة أقمأه الله ، لما ولّىٰ الناس عن رسول الله ﷺ ، أقبل يقول : دلّوني علىٰ محمد ، فلا نجوتُ إن نجا ، فاعترضتُ له أنا ، ومصعب بن عمير ، وأنا ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته علىٰ ذلك ضربات ، ولكن عدوّ الله كان عليه درعان![1] .

ومن شدة استبسالها في القتال ، قال النبي ﷺ : «ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلاّ وأنا أراها تُقاتل دوني»[2] .

ولما حدثت الهزيمة كان لأم عمارة موقف بطوليّ رائع ، ترويه هي فتقول : قد رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي إلاّ في نفر ما يتمون عشرة ، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذبُّ عنه ، والناس يمرّون به منهزمين ،

---

(١) عيون الأثر : ٢/ ١٣ ، طبقات ابن سعد : ٨/ ٤١٣ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٨/ ٤١٥ .

ورآني لا تُرس معي فرأىٰ رجلاً مولّياً معه ترسٌ ، فقال لصاحب الترس: «ألق ترسك إلىٰ من يُقاتل» ، فألقىٰ ترسه فأخذته فجعلتُ أترّسُ به عن رسول الله ﷺ ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل ، لو كانوا رجّالة[1] مثلنا أصبناهم إن شاء الله ، فيقبل رجل علىٰ فرسٍ فضربني وتترّستُ له فلم يصنع شيئاً، وولّىٰ، وأضرب عرقوب[2] فرسه فوقع علىٰ ظهره ، فجعل النبي ﷺ يصيح: «يا ابن أم عمارة، أمك أمك!»، فقالت: فعاونني عليه حتىٰ قتلناه[3].

هكذا كان الصحابة الأماجد حول الحبيب ﷺ:

هـمُ الجبـالُ فسَـلْ عنهـم مُصـادمَهُـم ... مـاذا رأىٰ منهـمُ فـي كـلّ مصطـدمِ
وسـلْ حُنينـاً وسـلْ بـدراً وسـلْ أحـداً ... فصـول حتـف لهـم أدهـىٰ مـن الـوخـمِ
المُصْـدِرِيْ البيـضَ حمـراً بعـدمـا وردتْ ... مـن العـدا كـلّ مُسـوّدٍ مـن اللّمـمِ
والكـاتبيـن بسُمـر الخـطّ مـا تركـتْ ... أقـلامهـم حـرفَ جسـمٍ غيـر منعجـمِ
شـاكـي السّـلاح لهـم سيمـا تميّـزهـم ... والـورد يمتـاز بـالسّيمـا عـن السَّلـمِ
تهـدي إليـك ريـاح النصـر نشـرَهـم ... فتحسبُ الزّهر في الأكمام كلّ كمي
كأنهم في ظهور الخيل نبتُ رُباً ... من شِدّةِ الحزم لا من شَدّةِ الحُزُمِ
طـارت قلـوب العـدا مـن بـأسهـم فَـرَقـاً ... فمـا تُفـرّقُ بيـن البَهْـم والبُهـمِ

* * *

(١) جمع راجل: أي ماش.
(٢) أي: ركبة الدابة.
(٣) طبقات ابن سعد: ٨/ ٤١٣.